

ويلاهلم رايشي

مَا الْوَعْيُ الطَّبَقِيُّ؟

نَحْوَعَلْمِ نَفْسٍ سِيَّاسِيٍّ لِلجَمَاهِيرِ



تَرْجَمَةٌ

جُورج طرابيشي



دار الطليعة - بيروت

مَا الرعي الطبعي؟

بمؤلفه نفعه سياسي للبحر الهيد

حقوق الطبع محفوظة لدار الطليعة

بيروت - ص ب ١١١٨١٣

الطبعة الاولى

تموز (يوليو) ١٩٧٤

الطبعة الثانية

شباط (فبراير) ١٩٧٩

ويليام رايس

مَا الرُّوعِيُّ الطَّبِيعِيُّ؟

مجموع علم نفسٍ سياسيٍّ للجماهير

ترجمة

جورج طرابيشي

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

هذه الترجمة الكاملة لكتاب :

Qu'est - Ce Que
La Conscience De Classe
Par
Wilhelm Reich

تقديم

بالرغم من ان هذا الكراس محاولة للاجابة على سؤال نظري محدد : **ما الوعي الطبقي ؟** فان هدفه عملي في المقام الاول : ما السبيل الى الحيلولة دون السقوط في الشيخوخة السياسية ، عرقوب اخيل كل حركة ثورية ؟

لقد كتب رايش هذا الكراس واصدره باسم مستعار ، ارنست باريل ، في عام ١٩٣٤ ، اي في العام التالي للعام الذي صار فيه هتلر مستشارا للدولة الالمانية وتم فيه تكريس هزيمة الحركة الاشتراكية الالمانية . والكراس ، من منظور هذه الهزيمة ، محاولة للاسهام في بعث الحركة الثورية التي عرف النازيون يومئذ كيف يقصمون ظهرها .

واذا كانت نقطة الانطلاق المركزية في هذا الكراس التمييز بين الوعي الطبقي للقادة والوعي (او الشعور) الطبقي للجماهير ، فان نقطة الوصول هي ارساء بعض أسس لما أسماه رايش بعلم نفس الجماهير : فقد استطاع النازيون ان يفرضوا سيطرتهم على الحركة الجماهيرية بالرغم من ضلال نظريتهم وتهافت ايديولوجيتهم

ورجعية مبادئهم ، وهذا لانهم عرفوا كيف يتوجهون الى بيكولوجيا الجماهير وكيف يخاطبون فيها نفسيتها . اما الاشتراكيون والماركسيون فانهم ، لجهلهم بعلم النفس الجماهيري ولرفضهم اياه ، وجدوا انفسهم مقضيا عليهم بالانعزال عن الجماهير وبخسارة نفوذهم عليها بالرغم من صواب نظريتهم وثورية ايدولوجيتهم . ومن ثم فان هذا الكراس نداء الى تأسيس علم نفس للجماهير ، ولكن علم نفس تكون الجماهير ذاته لا موضوعه .

يقول بوريس فرانكيل عن رايش انه «ثوري في نظر الاصلحيين ، واصلاحي في نظر بعض الثوريين ، تروتسكي في نظر الستالينيين الاورثوذكسيين ، وستاليني في نظر غلاة التروتسكيين الاورثوذكسيين ...» . وصحيح اننا نجد في هذا الكراس قسما وملامح من وجوه رايش المتعددة هذه ، لكن ثمة وجها آخر ينبغي ان نضيفه الى التعداد الآنف الذكر ، وهو الوجه الفوضوي . ونحن لا ننبه الى ذلك تذكرة بأن رايش تقهر مع الاسف في اواخر حياته من الماركسية نحو ضرب من النزعة الفوضوية ، بل تأكيدا على ضرورة قراءة النص الذي نقدم فيما يلي ترجمته قراءة نقدية ، وهي قراءة واجبة اصلا مع كل نص حتى ولو كان في غنى نص رايش وتجديداته العبقرية .

ج . ط

مدخل

يمكن تلخيص الفكرة الأساسية في هذا المؤلف على النحو التالي : ان الكفاح المر الذي يخوضه ثوريو العالم قاطبة على عدة جبهات يحملهم على ألا ينظروا الى حياة البشر الا من وجهة نظر ايدولوجيتهم الخاصة بهم ، او على الا يقيموا وزنا الا لوقائع الحياة الاجتماعية المرتبطة بصورة او بأخرى بأفكارهم ومعاركهم . لكن القسم الاعظم من سكان المعمورة ، الذين يريدون تحريرهم من نير الاضطهاد الرأسمالي ، يجهل كل شيء او يجهل كل شيء تقريبا عن صراعاتهم وامتحاناتهم وأفكارهم ، ويحيا عبوديته بقدر او بآخر من عدم الادراك ، فيوطد بالتالي هيمنة الرأسمال . ولو تساءلنا عن عدد أولئك الذين يتأثرون فعلا وحقا ، من بين سائر المواطنين الراشدين الالمان البالغ تعدادهم . ٤ مليوناً ، بأحكام الاعدام التي تنفذ بحق الثوريين ، وعن عدد أولئك الذين يكتفون منهم بقراءة الاعلان عن ذلك في الصحف بقدر او بآخر من عدم الاكتراث ، لادركنا على الفور ما الهدف الذي يضعه هذا المؤلف نصب عينيه : بيان الصلة بين وعي الطليعة الثورية ووعي عامة

الناس . وسنكتفي هنا بإثارة بعض النقاط وطرح بعض الاسئلة التي غضت الحركة العاملة عنها الطرف حتى الان . ومن الممكن ان لا تلقى هذه النقطة او تلك استقبالا حسنا . ومن الممكن ان تكون مغلوطه ، لكن هذا لا يبدل شيئا من حقيقة ان حياة البشر البسيكولوجية الفعلية تدور على صعيد آخر غير ذلك الذي يتصوره دعاة الثورة الاجتماعية ، وهذا على وجه التحديد بسبب رؤيتهم الاكثر نفاذا للمجتمع ، ومن حقيقة ان ذلك واحد من اسباب فشل الحركة العمالية . وكل ما أرجوه ان يعد هذا النص نداء من الفرد المتوسط اللاسياسي الى قادة المستقبل الثوريين ، يدعوهم فيه الى ان يفهموه فهما أفضل ، والى ان يقللوا من مطالبتهم اياه بفهم «مجرى التاريخ» ، والى ان يتيحوا له امكانية افضل للتعبير عن آلامه ورغائبه ، والى ان يتكلموا على نحو اقل تجريدا وتنظيرا عن «العامل الذاتي» للتاريخ ، والى ان يفهموا اخيرا ان هذا العامل هو حياة الجماهير .

حزيران ١٩٣٤

ارنست باريل

نوعا الوعي الطبقي

دوافع هذا النص

ان محاولتنا الرامية الى توضيح وتبيان بعض المشكلات التي اثيرت اثناء النقاش حول اعادة بناء الحركة العمالية ، بواسطة علم النفس الجمعي ، مقضي عليها سلفا بأن يشوبها عدد من النواقص والثغرات . فالظروف والشروط الحياتية التي يجد المهاجرون الالمان انفسهم مضطرين الى العمل فيها ليست بالسهلة . فالاحتكاك الحميم ، قبل كل شيء ، بالحياة السياسية ، وبحياة الجماهير بوجه خاص ، مقطوع او مهزوز ، والصحف تقدم معلومات مشوهة او متناقضة ، وتهمل مسائل علم النفس الجمعي ، وهذا في ذاته واحد من عوامل الخطأ . ولا وجود لمكتبات في متناول المرء في المنفى ، او على الاقل لا وجود لعدد كاف منها . اصف الى ذلك الصراع الشاق في سبيل البقاء ، والاضطهاد من قبل سلطات الاقطار المضيفة . ناهيك عن ان التشئت الراهن للمنظمات

والمناقشات داخل الحركة العمالية لا تجعل المهمة ميسورة . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار اخيرا جدة علم النفس السياسي ، المشوب بالاخطاء ونقاط الضعف الملازمة لكل علم فتي ، نكون قد بينا بما فيه الكفاية من الوضوح الظروف التي تحول دون تطلب تبحر دقيق مطلق الدقة ، لا يؤخذ عليه مأخذ ، قابل فورا للتطبيق على الممارسة السياسية . سوف نقتصر على اثاره مسائل هامة ، لم تلفت اليها انتباه احد حتى الان ، ويكفيها فيما عدا ذلك ان نقدم بعض الارشادات لمبادئه رفاقنا في النضال ، وكذلك لنقدمهم الاسلحة الفكرية التي تستخدمها اليوم الجبهة الثورية .

ومحاولتنا هذه تجيب في الوقت نفسه على بعض الاسئلة التي انطرحت منذ ظهور «علم نفس الفاشية الجمعي» (١) ، وكذلك على بعض النقاد الذين لا يدللون في رأيي على تفهم للمسائل البسيكولوجية ، مثلهم في ذلك مثل العديد من الاقتصاديين . ان مناقشات مع فئات سياسية شتى قد اظهرت ان الجواب على سؤال «ما الوعي الطبقي؟» يقتضي دراسة مسبقة للمشكلات الناجمة عن الوضع السياسي الراهن .

ان الفشل الماحق الذي منيت به الحركة الاشتراكية في المانيا كانت له اصدائه وانعكاساته المؤسفة في البلدان الاخرى ، والفاشية تحقق في كل مكان تقدما كبيرا بالمقارنة مع الحركة الثورية . لقد دلت الاممية الثانية ، مثلها مثل الثالثة ، على عجزهما عن السيطرة على الموقف ، ولو بصفة نظرية ، هذا اذا لم نشأ ان نتكلم عن وجهة النظر العملية . دلت الاممية الثانية على ذلك بسياستها البورجوازية في الاساس والجوهر ، والاممية الثالثة بافتقارها الى النقد الذاتي ، وبتشبيها المشؤوم بالخطأ ،

وقبل كل شيء لانها لم تستطيع - بل حتى لم تشأ - ان تطرد من صفوفها البيروقراطية .

يريد حزب العمال الاشتراكي والشيوعيون الامميون «اممية جديدة» . ولكن هناك من الان خلافات واسعة على كيفيات هذا الحزب الجديد . وقد سبق لتروتسكي ان طالب بتأسيس «الاممية الرابعة» ، وحزب العمال الاشتراكي يؤيد ذلك ويجذبه من حيث المبدأ ، لكنه يريد ان تكون «الاممية الجديدة» نتيجة لتجمع الطبقة العاملة ، ولا يريد انشاءها على دفعة واحدة كما يروم تروتسكي ، وتحقيق ذلك التجمع بواسطة هذا الشعار . اما نحن فنطرح المسألة ، في حركة السياسة الجنسية ، على الوجه التالي : هل ينبغي لنا ان نؤسس على الفور تنظيمًا وأن نقوم بالتعبئة والتنسيب على اساس برنامجه ، ام ينبغي اولًا ان ندع الايديولوجيا والبرنامج يعمان وينتشران في كل مكان ، فلا نحقق التجمع التنظيمي الا فيما بعد وعلى اساس اوسع ؟ لقد وقع اختيارنا على الطريق الثاني ، ونحن نقول ان «تنظيمًا تمهيديا اكثر رخاوة» ينطوي على العديد من المزايا : لا تدابير فصل وطرد سابقة لاوانها ، تحاشي لخطر الانطواء العصبوي ، امكانية أفضل للتسرب الى منظمات أخرى ، وما الى ذلك . ان المطلوب اولًا معرفة منظورات التطور السياسي وآفاقه على حد ما نتوقع . وقد خيل للجماعة التي تهتم بالسياسة الجنسية ان في وسعها التمييز بين احتمالات ثلاثة : ١ - احتمال انتفاضة غير متوقعة في المانيا في مستقبل قريب . ونظرا الى انه لا وجود لاي تنظيم قد هيا نفسه ، ولو في ادنى الحدود ، لمثل هذا الاحتمال ، فلن يكون في استطاع اي تنظيم ان يتزعم الحركة وأن يقودها الى حسن الختام . وهذا المنظور ، على كل حال ، اقل المنظورات احتمالا . لكن اذا ما تحقق بالرغم من كل شيء ، فسيكون الوضع في غاية الفوضى والسديمية ، وسيكون مجرى الامور متقلبا الى ابعد الحدود ،

حتى ولو لم يكن المال سيئا . وفي هذه الحال ، سنعاضد فورا بجميع الوسائل هذه الحركة . ٢ - من المحتمل ان يستغرق التجمع النظري والتنظيمي للحركة العاملة بضع سنوات ، ومن المحتمل بالتالي ، اذا ما تكافلت كحركة وباتت محبوة بقيادة افضل تمرسا واصلب عزما ، ان تتوصل الى الاستيلاء على مقاليد السلطة في المانيا في العقود القليلة التالية ، ولنقل : في العقدين القادمين . وهذا المنظور كبير الاحتمال في حد ذاته ، لكنه يتطلب من الان عملا تمهيديا شاقا ، متواصلا ، لا يعرف الملل او الكلل .

٣ - الاحتمال الثالث الا يتحقق توحيد الحركة العمالية في ظل قيادة جديدة ، افضل تمرسا واجدر بالثقة ، او الا يتحقق بالسرعة الكافية ، وان تعزز الفاشية العالمية مواقعها في كل مكان ، معتمدة بوجه خاص على مهارتها الطبيعية في اجتذاب الاحداث والمراهقين ، فتضمن لنفسها قاعدة جماهيرية ثابتة ، مستفيدة من كل ظرف مؤاتٍ مهما يكن واهنا ؛ وفي هذه الحال يتوجب على الحركة الاشتراكية ان تتوقع مرحلة من البربرية الاقتصادية والسياسية والثقافية ، طويلة غاية الطول ، تمتد على عدة عقود ، وسيتوجب عليها حينئذ ان تثبت انها لم ترتكب خطأ جوهريا وانها على كامل الحق في التحليل الاخير بالرغم من كل شيء . ان هذا الاحتمال يكشف للعيان المسؤولية الكبيرة التي تقع على كواهلنا .

اننا نأخذ الاحتمال الاول بعين الاعتبار بمقدار ما ياذن لنا الموقف بذلك ، ونجعل من الثاني ، وهو الاقرب الى امكان التحقق ، هدف عملنا الذاتي ، وسوف نحشد كل قوانا لتحقيقه ، وسوف نلتمس جميع الوسائل التي في طاقة البشر لنحول دون الاحتمال الثالث .

لئن كان هدفنا على هذا الاساس تأمين وحدة الطبقة العاملة ، وفعاليتها ، وتحالفها مع سائر فئات السكان الكادحين ، فان علينا